﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ [الأنفال: 17]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

نسبةُ النَّصرِ كُلِّه للهِ، تبرُّؤٌ من الحولِ والقوَّةِ، الدّاعيةِ إلى التَّنازعِ في الغنائِم

لَمّا ذكرَ اللّهُ تعالى في الآيات السّابقةِ أسبابَ نَصْرِهِ وتأييدِهِ للمؤمنين بإمدادِهم بالملائكةِ وتثبيت أقدامِهم، ونحو ذلك من أسبابِ النَّص الَّتي سبق ذكرُها في الآياتِ، وظنَّ المؤمنون أنَّهم هم الذين قَتلوا المشركينَ حقيقةً؛ بيَّنَ اللّهُ تعالى في هذه الآية أنَّه الفاعلُ الحقيقيُّ لهذا النَّصرِ، بقتلِهِ للكافرين وتصويبِهِ الرَّمي إليهم، وأنَّ ما أجراه اللّهُ تعالى على أيدي المؤمنين؛ فهو بتوفيقِ اللّهِ لهم، فالآيةُ عَودٌ لإتمامِ الحديثِ في قولِهِ: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ [الأنفال: 12].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿رَمَيْتَ﴾: الرَّمْيُ يُقالُ في المقالِ، كنايةً عن الشَّتمِ كالقَذْفِ، نحو: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ﴾ [النّور: 6] ويُقالُ في الأعْيانِ كالسَّهمِ والحَجَرِ[1]، وهو ما عناه قولُهُ تعالى هنا: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾[2]، وقولُه: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾، أي: نصَرَك[3].

2) ﴿وَلِيُبْلِيَ﴾، ﴿بَلَآءً﴾: يُقالُ: بَلِيَ الثَّوْبُ بلًى وبَلاءً، أي: خَلِقَ، وبَلَوْتُه: اخْتبرتُه، كأنّي أخْلَقتُه من كَثْرَةِ اخْتباري له، قالَ تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ﴾ [البقرة: 155]. وسُمّيَ الغَمُّ بلاءً من حيثُ إنَّه يُبْلي الجِسْمَ، ومن هذا الوجهِ سُمّيتِ التَّكاليفُ بلاءً؛

(1) الرّاغب، المفردات، ص: 366، والفخر الرّازي، مختار الصّحاح: (رمى).
(2) الفرّاء، معاني القرآن: 406/1، والرّاغب، المفردات، ص: 366، والشّوكاني، فتح القدير: 423/2.
(3) أبو عبيدة، مجاز القرآن، ص: 244.

لأنَّ فيها مشاقًّا على الأبدانِ، ولأنَّها اختباراتُ اللّهِ تعالى للعبادِ، تارةً بالمسارِّ؛ ليشكروا، وتارةً بالمضارِّ ليصبروا، فصارتِ المِنحةُ والمِحْنةُ جميعًا بلاءً، فالمحنةُ مقتضيةٌ للصَّبرِ، والمنحةُ مقتضيةٌ للشُّكرِ، قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾، وإذا قيلَ: ابتلى فلانٌ كذا وبلاهُ، فذلك يتضمَّنُ أمرين: أحدهما: تَعَرُّفُ حالِه، والوقوفُ على ما يُجهَلُ من أمْرِه، الثّاني: ظهورُ جودتِهِ ورَداءتِه، وربَّما قُصِدَ به الأمرانِ، وربَّما يُقصَدُ بهِ أحدُهُما، فإذا قيلَ في اللّه تعالى ابتلاه، فليس المرادُ منهُ إلّا ظهورَ جودتِه ورداءتِه دونَ التَّعرُّف لحالِه والوقوفِ على ما يُجهَل من أمْرِه، إذ كانَ اللّهُ علّامَ الغيوبِ[1]، وعلى هذا قولهُ ﷻ: ﴿۞وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ [البقرة: 124]، وقولُه تعالى هنا: ﴿وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا﴾ أي: ليُعرِّفَ المؤمنينَ نِعْمتَهُ عليهم من النَّصرِ والغَنيمةِ والأجْرِ والمَثوبة[2].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

اللّهُ ﷻ هو الَّذي مكَّن للمسلمين يومئذٍ من عدوِّهم، وأنَّ يدَ اللّهِ تعالى هي الَّتي ضَرَبتْهُم تلك الضَّربةَ القاضيةَ، وأنَّ المسلمين لم يكونوا إلّا أسبابًا ظاهرةً، أجرى اللّهُ على أيديهم ما أخذَ بهِ عدوَّهم، فالنَّصرُ ليس بحَوْلِكم ولابقوَّتِكم قتلْتُم أعداءَكم مع كَثْرَةِ عَددِهم وقِلَّةِ عَددِكم؛ بل هو الَّذي أظْفرَكم عليهم[3]، ثمَّ قالَ تعالى لنبيِّه ﷺ في شَأْنِ القَبْضةِ من التُّراب الَّتي حَصَبَ بها وُجوهَ الكافرينَ يوم بَدْرٍ حين خَرَجَ من العريشِ بعدَ دُعائِه وتَضرُّعِه واسْتكانتِه لربِّه، فرماهم بها، وقالَ: «شاهَتِ الوُجوهُ»، ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ

النَّصرُ مِنَ اللهِ وحـــدَهُ؛ لأنَّـهُ موجِدُ الأسبابِ، وصاحبُ القوّةِ الّتي ليس لها غلاب

(1) الرّاغب، المفردات، ص: 145، والفخر الرّازي، مختار الصّحاح: (بَلِيَ).
(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 272/2.
(3) عبد الكريم الخطيب، التّفسير القرآنيّ للقرآن: 581/3.

رَمَىٰ﴾، فلم يَبْقَ مُشرِكٌ إلّا دَخَلَ في عَينَيْه من ذلكَ التُّرابِ شيءٌ[1]، فطفِقَ المؤمنونَ يَقْتلونَهم ويأسِرونَهم، وكان في ذلك نعمةٌ عظيمةٌ من اللّهِ على المؤمنينَ، حيثُ أظْهرَهم على عَدوِّهم مع كَثْرةِ عددِهم وعُدَّتِهم؛ ليعرِفوا بذلك حقَّهُ، ويشكُروا نِعْمتَه وفضلَه عليهم ورحمتَه بهم[2]، فهو سميعٌ لدعائِهم واستغاثتِهم عليمٌ بصدقِ نيّاتِهم.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

دَلالةُ الفاءِ في عبارة: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ﴾:

تعليلُ الأفعالِ بيانٌ لحقيقتِها، وإصلاحٌ لعقيدةِ مَن قامَ بالفعلِ

الأظْهرُ أنَّ الفاءَ فصيحةٌ، ناشئةٌ عن جملةِ: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ﴾ [الأنفال: 12]، تُفصِحُ عن مُقدَّرٍ قَبْلَها شرطٍ أو غيرِه[3]، والأكثرُ أن تكونَ شرطًا، فتكونَ رابطةً لجوابِه، والتَّقديرُ هنا: إذا عَلِمتُم أنَّ اللّه أوحَى إلى الملائكةِ بضرْبِ أعناقِ المشركين، وقَطْعِ أيديهم، فلم تقتلوهم أنتُم، ولكنَّ اللّه قَتَلَهم، أي: فقد تبيَّنَ أنَّكم لم تقتلوهم أنتُم، أو على تقديرِ: إنِ افتخرتُم بقَتْلِهم؛ فأنتُم لم تقتلوهم، والمعنَى واحدٌ[4]، وكلُّ تقديرٍ يحقِّقُ مقصودَ السّورةِ، وهو التَّدريبُ على التَّبرُّؤِ مِنَ الحَولِ والقوَّةِ، وعدمِ نسبةِ النَّصرِ للأسباب.

ويجوزُ أنْ تكونَ الفاءُ عاطفةً على جملةِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾ [الأنفال: 15]، أي: يتفرَّعُ على النَّهيِ عن أنْ تولّوا المشركينَ الأدْبارَ تَنْبيهُكُم إلى أنَّ اللّه هو الَّذي دَفَعَ المشركينَ عنكم، وأنتُم أقلُّ منهم عَدَدًا وعُدَّة، والتَّفريعُ بالفاءِ تفريعُ العلَّةِ على المعلولِ، فإنَّ كونَ قتلِ المشركينَ

(1) رواه ابن جرير، المعجم الكبير، برقم: (11750)، وقال الهيثميُّ في مجمع الزَّوائد: 87/6: "رجالُه رجال الصَّحيح".

(2) ابن جرير، جامع البيان: 136/9، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 271/2 - 272.

(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 293/9.

(4) الزَّمخشريّ، الكشّاف: 149/2، وأبو حيّان، البحر المحيط: 295/5، والسَّمين الحلبي، الدُّرُّ المصون: 586/5.

ورَمْيِهم حاصلًا من اللهِ لِأمْنِ المسلمينَ، يُفيدُ تعليلًا وتوجيهًا لِنَهيهم عن أنْ يوَلّوهُمُ الأدْبارَ، ولأمرِهمُ الصَّبرَ والثَّبات، وهو تعريضٌ بضمانِ تأييدِ اللهِ إيّاهم إنِ امْتثلوا؛ لقولِه: ﴿وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: 46].

دَلالةُ دخولِ النَّفْيِ على المضارعِ، في مقابلِ الإثبات في الماضي:

النَّصرُ للهِ ومن اللهِ، وليس للأسبابِ

الظّاهرُ أنَّ دخولَ النَّفي على المضارعِ والحالِ - بأنَّ القتلَ كان حاصلًا - تأكيدٌ على أنَّهم لا حولَ لهم ولا قوَّة في القتلِ، فكأنَّهُ لم يحدث منهم قتلٌ، فعبَّرَ عمّا كانَ بما لم يقع، وجاءَ في مقابلِهِ الماضي النّاسبُ حقيقةً ماحدثَ للّهِ، ولذلك يظهرُ فواتُ هذه الفائدةِ البلاغيَّةِ، لو قيلَ: ما قتلتموهم، ولكنَّ اللّه قتلَهم، فمضتِ الآيةُ على تصحيحِ الاعتقادِ في نسبةِ النَّتائجِ إلى مسبِّبِ الأسبابِ سبحانه لا إلى الأسبابِ، وتدريبٍ على التَّبرُّؤِ من الحولِ والقوَّة، وكم من سيفٍ يضربُ، ولا يكونُ قتلٌ! وكم من سُمٍّ يُحتسى، ولا يكون موتٌ! وكم مِن مُتَردٍّ مِن عَلٍ، ولايموتُ! فلو كانتِ النَّتائجُ للأسبابِ؛ لَتحقَّقَ الموتُ من سُمٍّ يُحْتَسى، وسيف يُضرب، فما أجلَّ كلامَ اللّهِ! فيكونُ المعنى: كان منكم الضَّربُ، ولم يكن منكم القتلُ، وكان منك الرَّميُ، ولم تكنِ الإصابةُ.

دَلالةُ نفي القتلِ وفاعله مع كونهِ واقعًا:

الفاعلُ الحقيقيُّ له هو اللهُ، وهو الّذي بيده الموت والحياة

أصْلُ الخبرِ المنفيِّ أن يَدُلَّ على انْتفاءِ صدورِ المسنَدِ عن المُسنَدِ إليه، لا أنْ يدُلَّ على انْتفاءِ وقوعِ المُسنَدِ أصلًا، فلذلكَ صحَّ النَّفْيُ في قولِه تعالى: ﴿فَلَمۡ تَقۡتُلُوهُمۡ﴾ مع كونِ القَتْلِ حاصلًا بدليلِ وقوعِه حِسًّا، وإنَّما المَنفيُّ كونُه صادرًا عن أسبابِهم - كما تقدَّمَ آنفًا - فالفاعلُ الحقيقيُّ هو اللّهُ ﷻ وإن كانت صوَرُ الفعلِ حصلتْ منهم ظاهرًا، أي: لم يكونوا هُمُ الفاعلَ على وجْهِ الحقيقةِ والتَّأثيرِ، فاللّهُ تعالى هو الَّذي قتلَهم بإلقاءِ الرُّعبِ في قلوبِهم وتَسْليطِكم عليهم،

فإذا عَلِمتُم ذلكَ؛ فاعْلَموا يقينًا أنَّكم لم تقتلوهم، ولكنَّ اللَّهَ هو الَّذي قَتَلَهم[1].

دلالةُ التَّعبيرِ بالقتلِ دونَ الموتِ:

القتلُ سببٌ من أسبابِ الموتِ، ليس إلّا

عبَّرَ بالقتلِ دونَ الموتِ في قولِه: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ﴾، ولم يقل: (فلم تميتوهم)؛ لأنَّ الموتَ ليس من قدراتِ أفعالِ البشرِ، إنَّما هو مختصٌّ بهِ سبحانه فهو الَّذي يحيي، ويميتُ، ولأنَّ القتلَ أخصُّ من الموتِ؛ لأنَّهُ نقضٌ للبنيةِ الجسديَّةِ أوَّلًا، أمّا الموتُ؛ فهو خروجٌ للرّوحِ من غيرِ نقضٍ للبنيةِ، وهذا غيرُ مناسبٍ لسياقِ الآيةِ؛ لأنَّها في الحديثِ عن غزوةِ بدرٍ وما تحملُهُ هذه الكلمةُ من مواجهةِ المؤمنين للكفّارِ، وذلكَ يكونُ بالمقاتلةِ بينهم؛ لذلك كان التَّعبيرُ بالقتلِ هو المناسبُ.

سرُّ التَّعبيرِ بلفظِ (القتلِ) دونَ لفظِ (الحربِ):

الحربُ عامٌّ، والقتلُ من نتائجِه

عبَّرَ بالقتلِ دونَ الحربِ؛ لأنَّها أعمُّ من القتلِ، فهي تشملُ الهجومَ والإغارةَ والصَّدَّ والمواجهة، وهذا ما قامَ به المسلمونَ في المعركةِ، فلم يردِ القرآنُ أنْ ينفيَ دورَهم في المعركةِ من حربِ المشركين، وإنَّما أرادَ نفيَ القتلِ الَّذي هو نتيجةُ الحربِ إثباتًا للعنايةِ بالنَّتائجِ كما هو الشَّأنُ.

سِرُّ التَّعبيرِ بقولِهِ: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ﴾ دون (فلم تقاتلوهم):

دفعُ التّوهُّمِ بالمشاركةِ في صيغةِ الإثباتِ، لتتناسبَ مع العطفِ فيما هو آتٍ

عبَّرَ بقولِه: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ﴾ دونَ المفاعلةِ (فلم تقاتلوهم)؛ لأنَّ المُفاعلةَ تكون بين طرفين، فلو عبَّر بها هنا؛ لَما تناسَبَ مع ما هو آتٍ بالعطفِ، ولكنَّ اللَّه قَتَلَهم، فعبَّر بغيرِ صيغةِ المشاركةِ؛ دفعًا لوهم المشاركةِ في صيغةِ الإثباتِ، فيكونُ اللَّهُ هو الَّذي شاركَ الكفّار، ولئلّا يلزمَ منهُ أن يقالَ: فلم تقاتلوهم، ولكنَّ اللَّه قاتلَهم، وهذا غلطٌ فاحشٌ.

وجهُ الاستدراكِ بـ ﴿وَلَٰكِنَّ﴾:

وَجْهُ الاستدراكِ المُفادِ بـ ﴿وَلَٰكِنَّ﴾ أنَّ الخبرَ نَفَى أنْ يكونَ القتلُ

(1) أبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 447/2، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 294/9.

الواقعُ صادرًا عنِ المخاطَبينَ، فكانَ السّامعُ بحيثُ يتطلَّبُ أكانَ القتلُ حقيقةً أم هو دونَ القتل، ومَنْ كان فاعلًا له؟ فاحْتيجَ إلى الاسْتدراكِ بقولِه: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْۚ﴾[1]؛ للتَّأكيدِ أنَّ فاعلَ القتلِ هو اللّهُ.

اللُّطفُ في توجيهِ الأفعالِ وتفسيرِها، فالاستدراكُ أفضلُ من التَّخطئةِ وأَلْطفُ

وممّا يذكرُ في سرِّ الاستدراكِ بـ ﴿وَلَٰكِنَّ﴾: أنَّها هي المناسبةُ لمقامِ النَّفي والإثبات، يؤكِّد ذلك ما ذَكَرهُ السَّمينُ الحلبيُّ بقولِه: "وجاءت هنا (لكنَّ) أحسنَ مجيءٍ لوقوعِها بين نفيٍ وإثباتٍ"[2].

دَلالةُ اختيارِ لفظِ الجلالةِ (الله)، اسمًا للفظ ﴿وَلَٰكِنَّ﴾:

جاءَ اسْمُ الجلالةِ ﴿ٱللَّهَ﴾ اسْمًا لـ ﴿وَلَٰكِنَّ﴾ لِما في ذِكرِه مِن إحْياءِ المهابةِ في النُّفوسِ، وزيادةِ التَّأييدِ والتَّثبيت لرسولِه ﷺ وصحابتِه – رضي الله عنهم – وثباتِ هذه الولايةِ التّامَّةِ والنُّصرةِ الدّائمةِ لهم، بما يُحقِّقُ وجودَ الطُّمأنينةِ ونزولَ السَّكينةِ في قلوبِهم[3].

التَّأييدُ والتَّثبيتُ، من فِعلِ الله بعبادِه، حين يأْذَنُ بنصْرِهم

دَلالةُ تقديمِ المُسنَدِ إليه على خبرِه الفعليِّ:

في قولِه تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْۚ﴾ قدَّمَ المُسنَدَ إليه على المُسنَدِ الفعليِّ دونَ أنْ يُقالَ: ولكنْ قَتَلَهمُ اللّهُ؛ لأنَّ نَفْيَ اعْتقادِ المخاطَبين أنَّهم القاتلونَ قد حصلَ من جُملةِ النَّفْي، فصارَ المخاطَبونَ مُتطلَّبينَ لمعرفةِ فاعلِ قتلِ المشركين، فكانَ مُهمًّا عندَهم تعجيلُ العلمِ بها[4].

تأكيدُ نسبةِ القتلِ للهِ وحدَهُ، لأنّه الفاعل على الحقيقة

الغرضُ من أسلوبِ المجازِ في قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْۚ﴾:

في قولِه تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْۚ﴾ مجازٌ مرسلٌ من قبيلِ إطلاقِ المسبَّب وإرادةِ السَّبب؛ لأنَّ اللّه تعالى هو السَّببُ؛ إذ هو الموفِّقُ، وهو المؤيِّدُ، وهو المُمدُّ بالملائكةِ[5].

تعظيمُ التَّأييدِ والإمدادِ، الحاصل من ربِّ العِباد

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 294/9.
(2) السّمين الحلبيّ، الدّر المصون: 586/5.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 294/5.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 294/9.
(5) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 3078/6.

دلالةُ عطفِ جملةِ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ﴾ على ما قبلَها:

التَّرقّي في بيانِ أنَّ سببَ النَّصرِ التَّأييدُ والإمدادُ

دلَّ العطفُ على الانتقال من خطابِ المؤمنين بنفي قَتلِهم صناديدَ الكفرِ وزعماءَ الشِّركِ، وإنَّما القتلُ حصلَ بسببِ التَّأييدِ والإمدادِ إلى خطابِ رسولِ اللّهِ ﷺ بنفي أن يكونَ رمْيُهُ سببَ النَّصرِ، وإنَّما سببُ النَّصرِ التَّأييدُ والإمدادُ.

دَلالةُ الاسْتطرادِ بعبارة: ﴿وَمَا رَمَيْتَ﴾:

سببُ النَّصرِ هو تأييدٌ من اللهِ ﷻ لرسولِه ﷺ

في قولِه تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ اسْتطرادٌ بذِكْرِ تأييدٍ إلهيٍّ آخرَ، لم يَجْرِ له ذِكْرٌ في الكلامِ السّابق، وهو إشارةٌ إلى أنَّ رسولَ اللّهِ ﷺ بعدَ أنْ حرَّضَ المؤمنينَ على القتالِ يومَ بَدرٍ أتاهُ جبريلُ، فقال: خُذْ قَبْضةً من تُرابٍ، فارْمِهم بها، فأخَذَ حَفْنَةً من الحَصْباءِ، فاسْتقبلَ بها المشركينَ، ثمَّ قال: «شاهتِ الوُجوه» ثمَّ نفَحَهم بها، ثمَّ أمرَ أصحابَهُ، فقالَ: «شُدّوا» فكانتِ الهزيمةُ على المشركينَ حيثُ لم يَبْقَ مُشرِكٌ إلّا أصابَهُ شيءٌ من الحصى في عينَيْهِ، فشُغِلَ بعينَيْه، فانْهزَموا[1].

دَلالةُ عطفِ الجملةِ المنفيَّةِ بـ(ما)، على الجملةِ المنفيَّةِ بـ(لم):

النَّفيُ بـ(ما) و(لم)، حَسَبَ الإيجابِ الوارِدِ في السّياق

عُطِفَ قولُه تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ﴾ على قولِه: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ﴾؛ لأنَّ (لم) نفيٌ للماضي، وإن كانَ بصورةِ المضارعِ؛ لأنَّ لنَفْيِ الماضي طريقَيْنِ؛ إحداهما: أنْ تدخُلَ (ما) على لفظِه. والأخرى: أنْ تَنْفيَهُ بـ (لم)، فتأتيَ بالمضارعِ، والأصلُ هو الأوَّلُ، فالمضارعُ المنفيُّ بـ (لم) في قوَّةِ الماضي المنفيِّ بـ (ما)، ولأنَّ النَّفيَ ينبغي أنْ يكونَ على حَسَبِ الإيجابِ[2]، وفي هذا التَّلوينِ في النَّفي إعلاءٌ لقدرِ النَّبيِّ ﷺ تفريقًا بين خطابِه وخطابِ أصحابِه، بتوجيهِ النَّفي إلى الماضي معنًى

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 294/9، وهذه الرِّواية تقدَّم ذكرُها في بيان المعنَى الإجماليّ، وأُعيدتْ هنا لمناسبتها للوجهِ البلاغيّ المثبَت في المتن.

(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 295/5، والسَّمين الحلبيّ، الدُّرُّ المصون: 586/5.

وصورةً، فليس حالُهُ كحالِ الصَّحابةِ؛ لأنَّ النَّفيَ بـ (لم) امتدادٌ من الماضي إلى الحاضرِ، أمّا النَّفيُ بـ (ما)؛ فيشملُ الماضي فقط.

نُكتةُ نَفْيِ المُثْبَتِ في الرّمي، وعدمِه في القتل:

رَميُـهُ ﷺ كان معجزةً ربانيّةً

في سياقِ الآيةِ مُبالَغةٌ من وجهَيْنِ؛ أحدُهما: أنَّ النَّفيَ جاءَ على حَسَبِ الإيجابِ لفظًا، والثّاني: أنْ نَفَى ما صرَّحَ بإثباتِه، وهو قولُهُ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾، ولم يُصرِّحْ في قولِه: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ﴾ بقولِه: إذْ قَتَلْتُموهم، وإنَّما بولِغَ في هذا؛ لأنَّ الرَّميَ كانَ أمرًا خارقًا للعادةِ مُعجِزًا، وهو آيةٌ من آياتِ اللّهِ العظيمةِ[1]، وفيه تكريمٌ للنَّبيِّ ﷺ بتخفيفِ نفي الرَّمي، ويتبيَّن ذلك أنْ لو قيلَ: وما رميتَ، ولكنَّ اللّه رمَى، فلا يكون لفعلِه أيُّ إثباتٍ، كما مضى من خطابِ المؤمنين، وفيهِ إشارةٌ إلى أنَّ رَمْيَ رسولِ اللّهِ ﷺ كان كسْبًا، ورمْيُ اللّهِ تعالى كان خَلْقًا[2].

بلاغةُ التَّفريقِ بينَ القتلِ والرَّمي بالتراب:

شاهت الوجوه حـين رمَـى الرّسول بالحَفْنة في مُكْنَةٍ وثِقةٍ بالله

تظهرُ بلاغةُ أسلوبِ القرآنِ الكريمِ في التَّعبيرِ عنِ الفرقِ بين قتلِ المسلمين للكفّارِ، ورمي الرَّسولِ ﷺ إيّاهم بالتُّرابِ؛ أنَّ الأوَّلَ: فعلٌ من أفعالِهم المقدورةِ لهم بحسبِ سُنَنِ اللّهِ في الأسبابِ الدُّنيويَّةِ، وأنَّ الثّاني: (الرَّمي) لم يكن سببًا عاديًّا لإصابتِهم وهزيمتِهم، فليسَ مُشاهدًا، كضربِ أصحابِه ﷺ لأعناقِ المشركين، ولا غيرَ مُشاهدٍ؛ لأنَّهُ لا يكون سببًا لشكايةِ أعينِهم وتشويهِ وجوهِهم لقلَّتِه وبُعده عن راميه، ولكونهم غيرَ مستقبلين له، ومن ثَمَّ كانت الحاجةُ ماسَّةً إلى بيانِ الفَرْقِ بينهما، وذلكَ بعدمِ استقلاليَّةِ المسلمين في القتلِ بالسَّببيَّة لأنَّهُ لولا تأييدُ اللّهِ ونصرُهُ؛ ما حصل لهم هذا النَّصرُ، فاللّهُ سخَّرَ لهم أسبابَ القتلِ. أمّا الرَّميُ؛ فهو من فعلِه – سبحانه

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 295/5، والسَّمين الحلبيّ، الدُّرُّ المصون: 586/5.
(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 185/9.

وحدَه - بدونِ كسبٍ عاديٍّ للنَّبيِّ ﷺ في تأثيرِه، فالرَّميُ منه كان ظاهريًّا لِتظهرَ المعجزةُ على يديهِ [1] ﷺ.

دلالةُ التَّعبيرِ بـ ﴿إِذْ﴾ دونَ (وقت):

التّعبير بإذْ مُتّسقٌ مع نظمِ السّورة الكريمةِ، في التّذكيرِ بما كانَ من حال ضعفِ المسلمين

آثرَ التَّعبيرَ بـ ﴿إِذْ﴾ دون (وقت) في قولِه: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ مع اشتراكِهما في معنى الزَّمن إلّا أنَّ ﴿إِذْ﴾ يُعَبَّرُ بها عن الزَّمن الماضي بخلافِ الوقتِ، فإنَّه يطلقُ على نهايةِ الزَّمنِ المضروبِ للعمل، ولهذا لا يقالُ إلّا مُقَيَّدًا نحو وقتِ كذا، وعلى هذا، فالمناسبُ هو التَّعبيرُ بـ ﴿إِذْ﴾ على رأي من يقولُ: إنَّ الآيةَ نزلت بعد انتهاءِ الغزوةِ، وصار الحديثُ عنها من الزَّمنِ الماضي، كما أنَّ في التّعبير بإذ اتّساقًا مع نظمِ السّورة الكريمةِ في التَّذكيرِ بما كانَ من حال ضعفِهم حيثُ وردَ هذا الظَّرفُ اثنتي عشرةَ مرَّةً في السّورةِ الكريمةِ، ولم يجتمع هذا العددُ في سورةٍ أخرى لما لهذا الظَّرفِ من أثرٍ في استدعاءِ الأحداثِ الماضيةِ.

دلالةُ حذفِ مفعولِ ﴿رَمَيْتَ﴾:

توفُّرُ العنايةِ على إثباتِ الفعلِ، لا لكونِ المعجزةِ كانت باللهِ، لا بمن رُمِيَ

لّما كانَ الرَّميُ قصَّةً مشهورةً بينَهم، حَوَتْ أمرًا خارقًا جَلَلًا - كما تقدَّم - حُذِفَ مفعولُ الرَّمي في المواضعِ الثَّلاثةِ لورودِ الفعلِ ﴿رَمَيْتَ﴾، وكذلكَ فإنَّ المقصودَ الأصليَّ بيانُ حالِ الرَّميِ نفيًا وإثباتًا، إذ هو الَّذي ظهرَ منه ما ظهرَ، وهو المنشأُ لتغيُّرِ المرميِّ به في نفسِه، وتكثُّرِه حيثُ أصابَ عيني كلِّ واحدٍ من المشركين[2].

سرُّ ذكرِ مفعولِ القتلِ مُثبتًا ومنفيًّا:

لا شبهة في أنّ رَمْيَ الرّسول ﷺ، كان بتسديد من الله

ذكرَ مفعولَ القتلِ؛ لأنَّه فعلٌ من أفعالِ المؤمنين المقدورةِ لهم بحسَبِ سُنَنِ اللهِ في الأسبابِ الكونيَّةِ؛ بخلافِ رمي النَّبيِّ ﷺ إيّاهم بالتُّراب، فلم يُذكر مفعولُهُ بأن يُقال: (وما رميت

(1) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 375/10.

(2) أبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 477/2، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 294/9.

وجوهَهم)، إذ لا شبهةَ هنا في عدمِ استطاعة النَّبيِّ ﷺ لهذا الأثرِ استقلالًا بكسبِهِ العاديّ[1].

دَلالةُ الفعلِ ﴿رَمَيْتَ﴾ بين الحقيقةِ والمجاز:

الرَّميُ حقيقتُه: إلقاءُ شيءٍ أمْسَكَتْهُ اليَدُ، ويُطلَقُ الرَّميُ على الإصابةِ بسوءٍ من فعلٍ أو قولٍ، كما في قولِه تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ﴾ [النّور: 6]، فيجوزُ أن يكونَ الفعلُ ﴿رَمَيْتَ﴾ الأوَّلُ، والثّاني في قولِه: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ مُستعْمَلَيْنِ في معناهما المجازيِّ، أي: وما أصَبْتَ أعْيُنَهم بالقَذَى، ولكنَّ اللّه أصابَها به؛ لأنَّها إصابةٌ خارقةٌ للعادةِ، فهي معجزةٌ للنَّبيِّ ﷺ وكرامةٌ لأهلِ بَدرٍ، فنُفيَتْ عنِ الرَّميِ المعتادِ، وأُسنِدَتْ إلى اللّهِ؛ لأنَّها بتقديرٍ خفيٍّ من اللّهِ ﷻ ويكونُ قولُه: ﴿إِذْ رَمَيْتَ﴾ مُستعمَلًا في معناهُ الحقيقيِّ[2].

الـرَّمـيُ الأوَّلُ والـثّـانـي مـجـازيّـان، والـثّـالـثُ حقيقيٌّ، لإثباتِ مـعـجـزةِ الـلـهِ لرسولِه ﷺ

وممّا يُذكرُ - أيضًا - هنا أنَّ النَّفيَ والإثباتَ واردانِ على شيءٍ واحدٍ باعتبارين، فالمنفيُّ هو الرَّمي باعتبارِ الحقيقةِ، والمثبتُ هو الرَّمي باعتبارِ الصّورةِ[3].

دَلالةُ قَيْدِ الفعلِ بظرفِ الزَّمانِ في ﴿إِذْ﴾:

في قولِه تعالى: ﴿إِذْ رَمَيْتَ﴾ يُرادُ تحقُّقُ فعلِه ﷺ يومئذٍ، أي: يومَ بدرٍ حين أخذَ قبضاتٍ من حَصًى وتُرابٍ، فرَمَى بها وجوهَ القومِ ثلاثَ مرّاتٍ، فانْهزموا عندَ آخرِ رَمْيةٍ. وكذلكَ فإنَّ في قولِه: ﴿إِذْ رَمَيْتَ﴾ زيادةَ تقييدٍ للرَّمْي، وأنَّه الرَّميُ المعروفُ المشهورُ[4].

تـحـقُّـقُ فـعـلِ الـرَّمـيِ منه ﷺ في غـزوةِ بـدرٍ الكبرى

دَلالةُ الاسْتدراكِ في ﴿وَلَٰكِنَّ﴾:

في قولِه تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ إعلامٌ بانْتفاءِ أنْ تكونَ تلكَ

أثـرُ الـفـعـلِ من الـلـهِ تـعـالى، وصـورتُـهُ من رسولِ اللهِ المؤيَّدِ

(1) رشيد رضا، تفسير المنار: 519/9.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 295/9.
(3) الآلوسيّ، روح المعاني: 185/9.
(4) ابن عطيَّة، المحرَّر الوجيز: 511/2، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 295/9.

الرَّميةُ في قولِه تعالى: ﴿إِذْ رَمَيْتَ﴾ مَدفوعةً بيدِه ﷺ ولكنَّها مدفوعةٌ بقُدرةِ الخالقِ الخارجةِ عن الحدِّ المتعارف، فهي معجزةٌ إلهيَّةٌ سلَّحَ اللّهُ بها نبيَّه ﷺ[1]، كما أنَّ فيه بيانَ أنَّ العِبْرةَ بأثرِ الفعلِ لا بصورتِه.

دلالةُ تقديم المسندِ إليه ﴿ٱللَّهَ﴾، على عامله الفعليّ ﴿رَمَىٰ﴾:

التَّأكيدُ على أنَّ فعلَ الرَّمي وأثرَهُ كانَ منَ الله

لَمّا كانَ رَمْيُ الحصَى الحاصلُ بيدِ الرَّسولِ ﷺ حاصلًا منه فعلًا، وهو أمرٌ مُشاهدٌ لا يقبَلُ الاحْتمال؛ احْتيجَ في نَفْيِه إلى التَّأكيد، بإسنادِ الرَّميِ إلى اسْمِ الجلالةِ ﴿ٱللَّهَ﴾ إبطالًا لاحْتمالِ المجازِ في النَّفْيِ بأنْ يُحمَلَ على نَفْيِ رَمْيٍ كامل، فلمّا أُريدَ نفيُ تأثيرِه؛ أُسْنِدَ لمن بيدِه وبأمرِه التَّأثيرُ الحقيقيُّ، وهو إيصالُ وإصابةُ عُيونِ جيشِ المشركين[2].

دَلالةُ الواوِ في ﴿وَلِيُبْلِيَ﴾:

بيانُ العلل إيضاحٌ وإقناعٌ، لمن غابت عنه الحقائق

الواوُ في قولِه تعالى: ﴿وَلِيُبْلِيَ﴾ عَطَفتِ الفعلَ على عِلَّةٍ مستفادةٍ ممّا قبلَهُ، والتَّقديرُ: ولكنَّ اللّه رمَى ليمحقَ الكفّارَ، وليُبْلِيَ المؤمنين، وذلكَ للتَّدليلِ على أنَّ هذا البلاءَ الحسَنَ من اللّهِ وحدَه، فاللّهُ هو الَّذي رَمَى، وهو الَّذي قتلَ، ومَحقَ الكافرين[3].

دَلالةُ اللّامِ في ﴿وَلِيُبْلِيَ﴾:

البَلْوُ كشفٌ لحقائقِ النُّفوس، وإبراز لما تنطوي عليه الصّدور

اللّامُ في قولِه تعالى: ﴿وَلِيُبْلِيَ﴾ لامُ التَّعليل، وله وجهان: الأوَّلُ: هو أنَّ قتلهمُ المشركينَ وإصابةَ أعْيُنِهم كانا الغَرضَ من هَزْمِ المشركين، فهو العِلَّةُ الأصليَّة، والوَجْهُ الثّاني: وهي أنْ يُبلِيَ اللّهُ المؤمنين بلاءً حسنًا، أي: يُعطيهم عطاءً حَسَنًا يشكرونَه عليه، فيظهرُ ما يدُلُّ على قيامِهم بشُكرِه ممّا تُختبَرُ به طويَّتُهم لمن لا يعرفُها، وهو العطاءُ والنَّصرُ والغنيمةُ في الدُّنيا والجنَّةُ في الآخرة[4].

(1) أبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 477/2، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 296/9.
(2) ابن عطيَّة، المحرَّر الوجيز: 511/2، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 295/9 - 296.
(3) السَّمين الحلبيّ، الدُّرُّ المصون: 587/5، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 296/9.
(4) أبو حيّان، البحر المحيط: 296/5، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 296/9.

دلالةُ التَّعبيرِ بالمضارع ﴿وَلِيُبْلِيَ﴾:

عبَّر بالمضارع الَّذي يفيدُ التَّجدُّدَ؛ لأنَّ البلاءَ موصوفٌ بالحُسنِ، فاللهُ ﷻ يعطيهم ويمنحُهم مِنَحًا عديدةً في هذهِ الغزوةِ وغيرها، ففي هذهِ الغزوةِ أعطاهم النَّصرَ على المشركين، والأسرَ لصناديدهم، واغتنامَ أموالهم، فضلًا عن العطاءِ الأُخرويِّ، وهو نعيمُ الجنّاتِ، فهو تجدُّدٌ مستمرٌّ، ومن اللهِ الإمدادُ، وعلى المؤمنين حُسْنُ الاستعدادِ.

البَلْوُ أمرٌ متجدِّدٌ مستمرٌّ في حياة المؤمنين، وهو بحاجةٍ إلى الإمدادِ وحُسن الاستعدادِ

سرُّ التَّعبيرِ بلفظ ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ دونَ (الَّذين آمنوا):

آثرَ التَّعبيرَ بوصفِ المؤمنين دونَ الَّذين آمنوا لمدحِهم، وللدَّلالةِ على رسوخِهم في الإيمانِ، وللدَّلالةِ على ثبوتِ هذه الصِّفةِ فيهم على وجهِ الدَّيمومةِ.

البشارةُ بثباتِ الوصفِ وديمومتهِ، من فصيح البلاغ

دَلالةُ الجارِّ والمجرورِ في قولِه: ﴿مِنْهُ﴾:

﴿مِنْهُ﴾ جارٌّ ومجرورٌ، وضميرُهُ (الهاء) عائدٌ إلى اسْمِ الجلالةِ ﴿ٱللَّهَ﴾ و(مِن) للابْتداءِ المجازيِّ لتشريفِ ذلكَ الإبْلاءِ، ويجوزُ عَوْدُ الضَّميرِ إلى المذكورِ من القَتْلِ والرَّمي والظَّفرِ بالمشركين، ويكونُ (مِن) للتَّعليلِ والسَّببيَّة[1].

تشريفُ الإبْلاءِ، من لُطف الله في التّكرمة والعطاء

دَلالةُ المفعولِ المطلَقِ في ﴿بَلَآءً﴾ ونكتةُ تنكيرِه:

قولُهُ: ﴿بَلَآءً﴾ مفعولٌ مطلَقٌ لفعلِ ﴿وَلِيُبْلِيَ﴾ مُؤكِّدٌ لهُ؛ لأنَّ فعلَ ﴿وَلِيُبْلِيَ﴾ دالٌّ على بلاءٍ حسنٍ[2]، وقدْ دلَّ التَّنكيرُ على تعظيمهِ ورفْعِ درجتهِ.

تأكيدُ الفعلِ وتحقُّقُ حصولِهِ، مقصد في السّياق

دَلالةُ وصفِ المفعولِ المطلقِ بالحُسنِ في قولِهِ: ﴿حَسَنًا﴾:

جاءَ وصفُ المفعولِ المطلق ﴿بَلَآءً﴾ بكونِه ﴿حَسَنًا﴾؛ ليَدُلَّ على أنَّ هذا البلاءَ هو عطاءٌ جميلٌ من اللهِ، وإحسانٌ إلى المؤمنين، وأنَّ

(1) السَّمين الحلبي، والدُّرُّ المصون: 587/5، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 297/9.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 296/9.

اللّهَ تعالى ما فعَلَ ما فعَلَه إلّا لذلك[1]، كما أنَّ وصفَ البلاءِ بالحسن إشارةٌ إلى الوجهِ الآخرِ من وجوهِ الابتلاءِ، وأنَّه قد يكونُ غيرَ حسنٍ، فقد عافَى اللّهُ المؤمنين مِن أنْ يُبْلَوا بالقتل، وأن يُمتَحنوا بالأسرِ، ولكنَّ رحمةَ اللّهِ تعالى بالمؤمنين جعلت البلاءَ بالخيرِ دونَ الشَّرِّ وبالعافيةِ دونَ البلاءِ، دلَّ على ذلك وصفُ البلاءِ بالحسنِ[2].

الوصفُ بالحُسنِ، تعظيمٌ للمنَّةِ، وتأكيد لفيوضات العطاء

موقعُ جملةِ التَّذييلِ ودلالتهُ في السّياق:

قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، هو جملةٌ مستأنفةٌ وقعت تذييلًا لتأكيدِ مضمونِ ما مضى، فلمّا سبقَ الحديثُ عن خطراتِ نفوسِ المؤمنين في كراهيَّتهم لقاءَ العدوِّ وعدم رغبتهم في ذلك؛ لأنَّهم لم يتأهَّبوا للقاءِ ذات الشَّوكة؛ ذُيِّلت الجملةُ بهذا التَّذييل، وجاء التَّأكيدُ بـ ﴿إِنَّ﴾ لإثباتِ سمعهِ سبحانه لأقوالهم، وعليمٌ بما في نيّاتهم.

التَّذييلُ تأكيدٌ للمضمونِ، وتعليلٌ لهُ، بما يزيد في رَونقه

دلالةُ الاقترانِ بين (السّميع) و(العليم):

الاقترانُ بين الاسمين الجليلين، في مَواطنِ الأزماتِ وأوقاتِ الشَّدائدِ، إحضارٌ للمَهابةِ، وضبطٌ للتَّصرُّفِ، وإخلاصٌ للنّيّاتِ.

التَّعلُّقُ بهذين الاسمين الجليلين مطلوبٌ في الشَّدائدِ والأزماتِ

دلالةُ تقديمِ ﴿سَمِيعٌ﴾ على ﴿عَلِيمٌ﴾:

قُدِّم اسمُ ﴿سَمِيعٌ﴾ على ﴿عَلِيمٌ﴾؛ لأنَّهُ أخصُّ منهُ، وللاهتمامِ بأحداثِ المعركة؛ لأنَّ معظمَ أحوالِ القتالِ في سبيلِ اللّهِ تدورُ على الأمورِ المسموعةِ، مثل: جلبةِ الجيش وقعقعةِ السِّلاحِ، ويأتي بعد ذلك وصفُ العلمِ الَّذي يتعلَّقُ بجميع المعلوماتِ الظّاهرةِ والخفيَّةِ، ففيها ما هو من حديثِ النَّفسِ، مثل: أمرِ الخوفِ وتسويلِ النَّفسِ القعودَ عن القتال، وكلُّ ذلك يتعلَّقُ بالعلم[3].

تقديمُ الأخصِّ على الأعمِّ، معينٌ على تربيّةِ المهابةِ

(1) الزَّمخشريّ، الكشّاف: 150/2.
(2) عبد الكريم الخطيب، التّفسير القرآنيّ للقرآن: 582/3.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 480/2.

دَلالةُ الخَتْمِ بهاتَيْنِ الصِّفَتَيْنِ الجليلَتَيْنِ ﴿سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾:

تطمين قلوب المؤمنين، بسداد قيادةِ أكرم المرسلين

جاءَ خَتمُ الآيةِ الكريمةِ بصفتَيْنِ جليلَتَيْنِ من صفاتِ اللّهِ ﷻ وهما: ﴿سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾؛ إيذانًا وتَطْمينًا لقلوبِ المؤمنينَ بقيادةِ رسولِهم الكريم ﷺ، بأنَّ اللّه تعالى قد سمعَ دعاءَهم واسْتغاثتَهم، وعلمَ أنَّهم وكَلوا أنفُسَهم لعنايتِه ونَصْرِه، فقبلَ دعاءهم، ونَصَرَهم[1].

ويمكنُ أن يكونَ المرادُ بأنَّ اللّهَ سميعٌ لكلامِكم وما تَفْخرونَ به، عليمٌ بما انْطوَتْ عليه الضَّمائر، ومَنْ يُقاتلُ لتكونَ كلمةُ اللّهِ هي العليا، والأظهرُ الدَّلالةُ الأولى، لِما عُلِمَ من صِدْقِ الصَّحابةِ - رضي الله عنهم - مع اللّهِ ورسولِه، وتفانيهم في الدِّفاعِ عن دينِه، والجهادِ في سبيلِه.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الابتلاء والاختبار:

الابتلاءُ كالاختبار، إلّا أنّه يكونُ بتحميلِ المكارِه والمشاقِّ، وفي الخيرِ والشَّرِّ معًا

النّاظرُ في أغلبِ معاجمِ اللُّغةِ يجدُ أنَّ الابتلاءَ بمعنى: الاختبارِ، مع أنَّ النّاظرَ في استعمالِ القرآنِ الكريم لهذين اللَّفظين يجدُ فرْقًا دقيقًا، وإن اشتركا في المعنى العامِّ، فلكلِّ لفظٍ ما يميِّزُهُ، فالابتلاءُ: يكونُ بتحميلِ المكارِه والمشاقِّ، ويكونُ في الخيرِ والشَّرِّ معًا، أمّا الاختبارُ؛ فهو أمرٌ عمليٌّ يُستخدمُ بهدف تحديدِ معاييرِ الدِّقَّة والصَّوابِ والصِّحَّةِ في الأمرِ المعروضِ على المختبرِ، وعلى هذا فالابتلاءُ يَقْتضي اسْتخراجَ ما عندَ المبتَلَى من الطّاعةِ والمعصيةِ.

وأمّا الاختبارُ يكونُ بتحميلِ المكارِه، وبفعلِ المحبوب، فيقالُ: اخْتبرَهُ بالإنعامِ عليه، ولا يُقالُ: ابْتلاهُ بذلك، ولا هو مُبتلَى بالنِّعمةِ، كما قد يُقالُ: إنَّه مُخْتَبَرٌ بها[2]، وعلى ذلك فالاختبارُ جزءٌ من الابتلاءِ، والابتلاءُ أعمُّ من الاختبارِ، فبينهما عمومٌ وخصوصٌ.

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 296/5، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 297/9.

(2) العسكريّ، الفروق، ص: 10، والرّاغب، المفردات، ص: 145، والفخر الرّازي، مختار الصِّحاح: (بَلِيَ).

الرَّمي والقذف:

الرَّمي أعـمُّ مِنَ الـقـذف، وهـو في الأعـيـان، والـقـذف يُلْمَح فـيـه الـبُـعـد والقوّة

عبَّر بالرَّمي دونَ القذفِ لوجودِ فرقٍ بينهما، ويقال في المقالِ كنايةً عن الشَّتمِ والقذفِ، فالملاحظُ أنَّ الرَّمي أعمُّ من القذفِ؛ لأنَّ القذفَ يُلمَح فيه البعدُ والقوَّةُ، وهذا غيرُ مناسبٍ لسياقِ امتنانِ اللّهِ على رسولهِ في أنَّ رميَهُ ﷺ لم يكن ليؤثِّرَ بذاتهِ لولا فضلُ اللّهِ تعالى على رسولهِ في تصويبِ أثرِ الرَّمي إلى وجوهِ المشركين وأعينِهم.

وفيهِ إشارةٌ إلى دفْعِ توهُّمٍ قد يتصوَّرهُ البعضُ من التَّعبيرِ بالقذفِ وما يحملُه من قوَّةٍ وبُعدٍ إلى أنَّه قد وصَلَ بذاتهِ إلى كلِّ المشركين، وفيه تعليمٌ للمسلمين أن يأخذوا بالأسبابِ، وأن يتركوا النَّتائجَ على اللّهِ تعالى.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس عشر، سورة الأعراف من الآية 164 إلى سورة الأنفال الآية 26
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس عشر، سورة الأعراف من الآية 164 إلى سورة الأنفال الآية 26
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 15 ، 812 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-11-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 15 : المجلد الخامس عشر، سورة الأعراف من الآية 164 إلى سورة الأنفال الآية 26.
-1القرآن - تفاسير نحوية -2 القرآن، بديع -3 القرآن، بلاغة -4 القرآن - سور وآيات -5 القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-768-11-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7668393 بتاريخ 2024/01/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»